MESR
منار الشرق للدراسات والأبحاث
Manar Elsharq for Studies & Research
Middle East Journal
of Educational and Psychological Sciences
Homepage:
http://meijournals.com/ar/index.php/mejeps/index
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم التربوية والنفسية
ISSN 2789-1828

آليات وطرائق تدريس النحو بين التقليد والتجديد

د. فاطمة الزهراء العسالي[1] ، د. فاطمة نوك[2]

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الرباط سلا القنيطرة – المغرب[1]

باحثة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط[2]

استلام البحث: 15/06/2025 مراجعة البحث: 12/07/2025 قبول البحث: 10/08/2025

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف آليات وطرائق تدريس النحو العربي الحديثة وتأثيرها في تحسين تحصيل المتعلمين وتعزيز تفاعلهم مع المادة النحوية.

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال مراجعة الأدبيات العلمية الحديثة وتحليل نماذج تطبيقية في مجال تعليم النحو، مع التركيز على طرائق مثل التفاعل، المقاربة النصية، التعلم التعاوني، الاستقرائي، واستخدام التكنولوجيا التعليمية.

أظهرت النتائج أن تبني هذه الطرائق يسهم بشكل فعّال في رفع دافعية الطلاب، وتنمية مهارات التفكير النقدي، وتحسين مستوى التفاعل والتواصل داخل الفصل، مما يؤدي إلى اكتساب متين للكفايات النحوية. وتؤكد الدراسة على أهمية تطوير قدرات المدرسين في تطبيق هذه الطرائق واستثمار الوسائط الرقمية، مع مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، لضمان تعليم نحوي متكامل يستجيب لمتطلبات العصر وخصوصيات المتعلمين

الكلمات المفتاحية: تدريس النحو، الطرائق الحديثة، التفاعل التعليمي، التكنولوجيا التعليمية، تطوير المعلم.

Abstract

This study investigates modern approaches to teaching Arabic grammar and their effectiveness in enhancing learners' understanding and engagement. Using a descriptive-analytical method, the research reviews current literature and practical applications focusing on interactive learning, text-based methods, cooperative and inductive learning, and educational technology.

Findings reveal that these methods boost student motivation, critical thinking, and classroom interaction, leading to better mastery of grammar skills. The study highlights the need to train teachers in these approaches and to utilize digital tools while addressing individual learner differences for effective and comprehensive grammar instruction.

Keywords: Grammar teaching, Modern methods, Interactive learning, Educational technology, Teacher development.

المقدمة

يُعدّ النحو العربي ركيزة أساسية من ركائز تعليم اللغة العربية، وأحد أبرز مكوّنات الكفاية اللغوية التي يُفترض أن يكتسبها المتعلم في مختلف المراحل الدراسية. فهو العلم الذي يضبط نظام الجملة العربية، ويُحدّد وظائف مكوناتها، ويكفل صحة الأساليب التعبيرية التي تعتمدها اللغة العربية في تمثيل المعاني. وإذا كانت علوم اللغة الأخرى تتوزع بين مستويات الصوت والدلالة والمعجم، فإن النحو العربي ينهض بمهمة ضبط المستوى التركيبي، مما يجعله جوهريًا في أي عملية تعلم لغوي متكاملة.

وقد حظي النحو العربي بمكانة خاصة في الثقافة العربية الإسلامية، منذ نشأته في بيئة علمية عربية – إسلامية حرصت على صيانة اللسان العربي، وربطه بفهم النص القرآني، وتجويد التعبير عن المعاني الشرعية والأدبية والبلاغية. وقد تعاقبت المدارس النحوية على تطويره، واهتم به العلماء والمنظّرون وأهل اللغة، حتى صار عِلمًا قائمًا بذاته له مصطلحه وأسلوبه ومكانته ضمن المنظومة التعليمية التقليدية. ومع هذا الاهتمام، انتقل النحو العربي إلى منظومات التعليم الحديثة، فصار يُدرّس في المدارس والجامعات، ويُدرج في المقررات الدراسية، غير أن هذا الانتقال لم يخل من إشكالات جوهرية.

لقد واجه تدريس النحو العربي منذ عقود طويلة تحديات كبرى، تتعلّق بمحتوى المادة النحوية من جهة، وبالطرائق التعليمية المعتمدة من جهة أخرى. فقد غلب على طرائق تدريسه الطابع التلقيني، الذي يركّز على حفظ القواعد وتطبيقها في تمارين معزولة عن السياق، دون ربطها بوظائفها التواصلية. كما أن المتعلم في الغالب يتعامل مع النحو بوصفه مادة صعبة، جافة، تفرض عليه حفظَ اصطلاحاتٍ مجردة لا يدرك معناها ولا جدواها في حياته اللغوية اليومية. وهذا ما أدّى إلى عزوف كثير من المتعلمين عن الاهتمام بالنحو، وانخفاض مستواهم في استعماله.

تؤكد الدراسات الحديثة في علوم التربية واللسانيات التطبيقية أن فشل النحو في البيئة التعليمية المعاصرة لا يرجع إلى طبيعته المجردة فحسب، بل إلى الطريقة التي يُقدّم بها، وإلى غياب المعنى والسياق في تقديمه. فالنحو لا يجب أن يُقدَّم كقواعد جامدة لحفظ الأشكال، وإنما كوسيلة لفهم العلاقات داخل النصوص، وتنمية الكفايات التواصلية واللغوية والكتابية لدى المتعلمين. لذلك، أصبح من الضروري اليوم إعادة النظر في طرائق تدريسه، بما ينسجم مع مبادئ البيداغوجيا الحديثة، وتوجهات التعليم المتمركز حول المتعلم.

وقد ساهم ظهور نظريات تعلم حديثة، مثل النظرية البنائية، والنظرية الاجتماعية الثقافية (Vygotsky, 1978)، والتعلم القائم على المشروع، والمقاربة بالكفايات، في إعادة تشكيل تصورات المدرّسين لمادة النحو. كما شجعت هذه النظريات على اعتماد طرائق تدريس حديثة تركز على التفاعل، والسياق، وبناء المعرفة من خلال الاستقراء والملاحظة، لا من خلال الحفظ والتكرار فقط. وأصبحت الأهداف التعليمية للنحو تتجاوز مجرد التمكن من الإعراب، لتشمل الفهم العميق للغة، والاستعمال السليم لها في سياقات مختلفة.

وبناءً عليه، اتجهت مجموعة من الباحثين والممارسين التربويين إلى تجريب طرائق حديثة في تعليم النحو، منها الطريقة الوظيفية، والمقاربة النصية، والمقاربة التواصلية، والتدريس الاستقرائي، وغيرها من الاستراتيجيات التي تُراعي الحاجات الفعلية للمتعلمين، وتحاول أن تُعيد لمادة النحو جدواها التعليمية والعملية. وقد بيّنت التجارب الصفية أن هذه الطرائق أكثر فعالية في تيسير الفهم النحوي، وتحقيق التعلّم العميق، وتعزيز دافعية المتعلمين نحو المادة.

وانطلاقًا من هذه التحولات، فإن إعادة التفكير في آليات تدريس النحو العربي لم تعد مسألة اختيارية، بل ضرورة بيداغوجية حتمية، تستلزم مراجعة جذرية لأهداف المادة، وطرائق تقديمها، وأدوار المدرّس والمتعلم فيها. كما تستدعي إعداد محتويات تعليمية تتماشى مع حاجات المتعلم، وتُدمج النحو في سياقات لغوية حقيقية تُسهم في بناء المعنى، وتُنمي الكفايات التواصلية والوظيفية بشكل متكامل.

في هذا السياق، يتوخّى هذا البحث تقديم قراءة تحليلية في آليات وطرائق تدريس النحو العربي، من خلال التوقف عند الطرائق التقليدية وتشخيص اختلالاتها، ثم عرض أهم الطرائق الحديثة وأساليب تجديد تعليم النحو في ضوء المقاربات المعاصرة. كما يسعى إلى تقديم مقترحات منهجية وبيداغوجية لتجويد تدريس النحو العربي، وجعله أكثر قربًا من المتعلم، وأقدر على خدمته لغويًا وتواصليًا.

مشكلة البحث

تتحدد إشكالية هذا المقال البحثي في السؤال الآتي: كيف يمكن الانتقال من تعليم نحوي تقليدي قائم على الحفظ والتلقين إلى تعليم نحوي حديث يدمج السياق والمعنى، ويعزز الكفاية التواصلية لدى المتعلم؟

المنهجية

يقوم البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال مراجعة الأدبيات التربوية والنظرية الحديثة في مجال تعليم النحو العربي، وتحليل نماذج تطبيقية وتجارب تعليمية معاصرة، بهدف رصد الطرائق الحديثة، وتفسير أثرها في تحسين تحصيل المتعلمين وتنمية مهاراتهم اللغوية داخل الفصل الدراسي.

أما طرائق البحث، فتمثلت في تحليل مضمون النصوص النظرية والتربوية ذات الصلة، ومقارنة بين الأساليب التقليدية والحديثة، مع استخلاص أبرز الطرائق الناجحة في تعليم النحو، وتفسير أثرها في ضوء الكفايات المستهدفة لدى المتعلمين، بناءً على مؤشرات أدائية ووصفية واردة في تلك المصادر.

نتائج البحث والمناقشة

1. النحو العربي – الوظائف التعليمية والسياق التكويني

يحتل النحو العربي مكانة مركزية في منظومة تعليم اللغة العربية، لكونه يشكل الإطار التركيبي الذي تنتظم داخله عناصر الجملة والتراكيب، وهو ما يجعله مفتاحًا أساسيًا لفهم النصوص وضمان سلامة إنتاجها. فالمتعلم لا يستطيع اكتساب الكفاية اللغوية

الكاملة دون وعي بالبنية النحوية التي تضبط العلاقات بين الكلمات والمكونات، وهو ما يجعل من تدريس النحو مهمة تربوية دقيقة، تستلزم وعيًا بخصوصيات هذا المكوّن وموقعه داخل البنية العامة للغة.

غير أن هذا الوعي لم يكن حاضرًا دائمًا في الخطاب التربوي التقليدي، حيث ظل النحو يقدم في الغالب كمادة مستقلة ذات طابع تقني صرف، منفصلة عن السياقات التواصلية، ومركزة على حفظ القواعد وإجراء الإعراب الشكلي. فقد غلب على الممارسة الصفية طابع التلقين، وتم إهمال الجانب الوظيفي الذي يجعل من النحو أداة للفهم والإنتاج، لا مجرد تقنية للتصنيف والتعليل. وقد أدّى هذا النمط في التدريس إلى تنفير المتعلمين، وشيوع صورة نمطية سلبية عن النحو بوصفه "مادة صعبة" كما أشارت بعض الدراسات التربوية الحديثة (Al-Jarf, 2019, p. 114).

يرتبط موقع النحو في تعليم اللغة العربية بوظائفه الأساسية، التي تتمثل في تمكين المتعلم من ضبط التراكيب، وتفكيك البنية النحوية للجمل، وفهم دلالة الأساليب، وتوليد التعبير السليم. فلا يقتصر دور النحو على الجانب التحليلي، بل يتجاوزه إلى تنمية الحس اللغوي، وتعزيز التفكير المنطقي، وتقوية القدرة على التأويل. كما أن النحو يُعتبر أداة مرافقة للقراءة والفهم والكتابة، إذ من خلاله يستطيع المتعلم قراءة النصوص قراءة واعية، واستيعاب العلاقات بين عناصرها، والتعبير بلغة سليمة ودقيقة.

وقد أشار عدد من الباحثين إلى أن النحو، رغم طبيعته المجردة أحيانًا، يكتسب بعدًا وظيفيًا واضحًا إذا ما تم تقديمه في سياقات مناسبة، وتم ربطه بالمواقف التواصلية الفعلية للمتعلمين (حمودة، 2020، ص. 73). ففي التعليم الحديث، لم يعد النحو يعلَّم كقائمة قواعد وأحكام، وإنما كجزء من سيرورة تعلم لغوي متكامل، يدمج بين مهارات الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة. وهنا تبرز الحاجة إلى تحويل النحو من معرفة تلقى، إلى كفاية تُبنى تدريجيًا عبر أنشطة تفاعلية تمكّن المتعلم من استكشاف القواعد بنفسه، وتطبيقها ضمن سياقات ذات معنى.

إن السياق التكويني للنحو داخل المدرسة العربية لم يسلم من التأثيرات التاريخية التي طبعت تعليمه. فقد ورث النظام التعليمي العربي كثيرًا من النماذج التدريسية التي كانت تركز على الجانب الصوري في النحو، مستندة إلى مقولات نحوية تراثية ومصطلحات مركّبة لا تتناسب دومًا مع مستوى المتعلم. وهذا ما جعل كتب النحو، سواء في المراحل الأساسية أو الجامعية، تهيمن عليها بنية تقعيدية تراتبية، تبتعد في الغالب عن واقع اللغة كما تُستعمل في الحياة اليومية. وفي هذا السياق، يرى عبد الرحيم (2022، ص. 59) أن النحو ظل يقدم بمنطق القطع مع الوظيفة التواصلية للغة، بدل أن يكون جسرًا نحو تطويرها.

من جهة أخرى، فإن غياب التوازن بين النظرية والتطبيق داخل الدروس النحوية أضعف فاعلية المتعلم، وجعل اكتسابه للمعارف النحوية جزئيًا أو هشًا. فقد أثبتت الممارسات الصفية أن تقديم القاعدة في عزلة عن النص، وتحويل النحو إلى "إعراب" جاف ومكرور، لا يحقق الأهداف المتوخاة من إدراج هذه المادة. بل إن عزل النحو عن النصوص اللغوية والأدبية يفوّت على المتعلم فرصة فهمه في سياقه الطبيعي، ويضعف قدرته على استعماله بشكل فعّال. وهنا تبرز الحاجة إلى مراجعة عميقة لوظيفة النحو، وتصوره ضمن نظام تعليمي يربط بين القواعد وبين بناء المعنى.

لقد أسهمت المقاربات البيداغوجية الحديثة في إعادة التفكير في وظيفة النحو وطرائق تدريسه، حيث دعت إلى توظيفه ضمن مقاربة شمولية تدمج بين مختلف كفايات اللغة. فالمقاربة بالكفايات، على سبيل المثال، تنظر إلى النحو بوصفه مكوّنًا مندمجًا في وضعيات تعليمية–تعلمية، لا كعنصر قائم بذاته. وهذا يقتضي أن يتم إدراجه من خلال النصوص، والمواقف التواصلية، وحل المشكلات اللغوية، وأن يرتبط دائمًا بحاجة المتعلم إلى التواصل، لا بالحفظ والتكرار وحدهما (Vygotsky, 1978, p. 86).

إن الرؤية المعاصرة لتعليم النحو تنطلق من اعتبار المتعلم فاعلًا في بناء معرفته، وتُراهن على قدرته في اكتشاف الظواهر اللغوية وتوظيفها ضمن بنيات ذات معنى. وهذا التحول في النظرة يقتضي كذلك تحولًا في أدوار الأستاذ، من ناقل للمعرفة إلى موجّه ومُيسّر لها، يساعد المتعلمين على الربط بين ما يتعلمونه وما يوظفونه في الكتابة أو الخطاب. وفي هذا السياق، يصبح درس النحو مساحة لتطوير مهارات التفكير، والتحليل، والتمييز بين الوظائف اللغوية، لا مجرد مجال لتطبيق القواعد بشكل آلي.

2. صعوبات تدريس وتعلّم النحو العربي

لا يمكن تناول تطوير طرائق تدريس النحو العربي بمعزل عن تشخيص دقيق للصعوبات التي تعترض سبيل كل من المعلّم والمتعلّم داخل القسم. فالنحو، رغم مركزيته في تعليم اللغة العربية، لا يزال يُواجه في الواقع التعليمي العربي مقاومة صامتة تتجلى في تراجع دافعية المتعلمين نحوه، وضعف مردوديته، وصعوبة إدماجه ضمن الكفايات اللغوية الأخرى. ويُجمع عدد من التربويين على أن هذا الوضع يعود إلى جملة من الصعوبات المتداخلة، تتوزع بين ما هو معرفي ومنهجي، وما هو نفسي وتواصلي، بل وما هو مرتبط بالبنية العميقة للمقررات نفسها.

أولى هذه الصعوبات ترتبط بالتصور السائد لمفهوم النحو في أذهان كثير من المعلمين والمتعلمين، حيث يُقدَّم النحو كمادة جامدة، قائمة على حفظ القواعد المجردة دون ربطها بوظيفتها التواصلية أو بسياق الاستعمال. إن هذا التصور يُكرّس الانفصال بين النحو والحياة اللغوية اليومية، ويحوّله إلى "تقنية للإعراب" بدل كونه أداة للفهم والتعبير. وهذا ما يجعل المتعلم يتساءل باستمرار عن "جدوى تعلم النحو"، ويشعر بانفصاله عن حاجاته الحقيقية في التواصل الشفوي والكتابي.

تُعدّ اللغة المستخدمة في تقديم المحتويات النحوية عائقًا جوهريًا آخر، إذ إن المقررات الدراسية كثيرًا ما تلجأ إلى مصطلحات صعبة، وتعريفات نظرية مطوّلة، وأمثلة غير مألوفة أو مصطنعة، تبتعد عن لغة المتعلم الواقعية. ومما يزيد الأمر تعقيدًا اعتماد بنية تقعيدية رأسية تبدأ بالقواعد الكلية ثم تنزل إلى الجزئيات، على عكس المنهج الاستقرائي الذي يُمكّن المتعلم من استنتاج القاعدة عبر التفاعل والملاحظة. إن هذا التقديم المقلوب يزيد من غموض المفاهيم، ويجعل المتعلم يشعر بأنه مطالب بتعلّم "لغة ثانية داخل اللغة".

أما من حيث المحتوى، فإن النحو في كثير من المناهج الدراسية يُركّز على تصنيف المكونات، والتفريق بين الأنواع، والإكثار من التعاريف والتفصيلات النحوية، مما يجعل الدرس النحوي أشبه بـ"محاضرة مصغّرة" بدل أن يكون ورشة للتفكير والتحليل والاستكشاف. وقد أشار عبد الرحيم (2022، ص. 94) إلى أن كثيرًا من الدروس النحوية تظل محصورة في وصف الظاهرة وإعرابها، دون الانتقال إلى تحليل أثرها في المعنى أو وظيفتها داخل النص، وهو ما يُفقد المادة بعدها التأويلي والدلالي.

يُضاف إلى هذه الصعوبات ما يتعلق بطريقة تقديم المادة، إذ إن الطريقة الغالبة في تدريس النحو ما تزال الطريقة الاستنباطية التقليدية، التي تنطلق من تعريف القاعدة وشرحها، ثم إعطاء الأمثلة، ثم تمرين المتعلم عليها. ورغم ما تحققه هذه الطريقة من وضوح وتدرج، فإنها تُهمّش دور المتعلم، وتُغيب التفاعل، وتُقصي دور التفكير، مما يجعل المتعلم متلقيًا سلبيًا لا يشارك في بناء المعرفة.

وتُعدّ المدة الزمنية المخصصة لدروس النحو ضمن الحصص الدراسية من بين العوامل المساهمة في تعميق الإشكال، إذ إن التراكم الكمي للمفاهيم، مقابل محدودية الزمن، لا يسمح بالتمكن الفعلي، ولا يعطي الفرصة للترسيخ والتطبيق والتقويم المرحلي. في كثير من الحالات، يُنتقل من درس إلى آخر دون التأكد من تحقق الحد الأدنى من الفهم، مما يجعل تراكم الثغرات قاعدة في تعلّم النحو، وليس الاستيعاب المرحلي التدريجي.

كما أن عدم إدماج النحو داخل الكفايات اللغوية الكبرى يؤدي إلى تهميشه في الممارسة الصفية، فيصبح معزولًا عن القراءة والكتابة والتواصل، ولا يظهر أثره في إنتاج المتعلم اللغوي. فغالبًا ما ينجز المتعلمون تمارين منفصلة عن الواقع التعبيري، ولا يُطلب منهم توظيف المعارف النحوية في الإنشاء أو المحادثة أو تحليل النصوص، مما يجعل النحو مجرد "نشاط ذهني" منزوع من جذوره التطبيقية.

من الجانب النفسي، يتعرض المتعلم لضغط دائم داخل درس النحو بسبب كثافة المصطلحات، وصرامة القواعد، وكثرة التصحيحات المرتبطة بالإعراب. هذا المناخ، الذي يسوده أحيانًا التوتر والخوف من الوقوع في "الخطأ النحوي"، يضعف الثقة بالنفس، ويكرّس النفور من المادة. وقد بيّنت دراسات ميدانية حديثة أن النحو يأتي ضمن المواد التي يصفها التلاميذ بأنها "ثقيلة"، أو "غير مفهومة"، أو "غير مرتبطة بالحياة" (Al-Jarf, 2019, p. 118).

ومن زاوية أخرى، فإن غياب التكوين الديداكتيكي الكافي لدى عدد من الأساتذة يُفضي إلى ضعف في تجديد الطرائق، والاكتفاء بنقل المحتوى المقرر كما هو، دون التفكير في تكييفه أو تبسيطه أو ربطه بالحياة اللغوية للمتعلمين. وقد أشار حمودة (2020، ص. 85) إلى أن كثيرًا من مدرّسي النحو يميلون إلى الطريقة التي تعلّموا بها هم أنفسهم، ويكررونها دون مساءلة، مما يكرّس استنساخًا بيداغوجيًا غير منتج.

في السياق نفسه، تمثل الثقافة المدرسية عائقًا بنيويًا في وجه تطوير النحو، إذ إن النظام التقويمي يعتمد غالبًا على اختبار قدرة المتعلم على الإعراب أو حفظ التعاريف، أكثر من قياس قدرته على توظيف المعرفة النحوية في مهام لغوية حقيقية. فالامتحانات تكرّس البُعد الشكلي للمادة، ولا تمنح مساحة كافية للتفكير أو الكتابة أو الفهم السياقي، مما يجعل النحو عبئًا على المتعلم بدل أن يكون معينًا له.

وتطرح صعوبات تعلم النحو كذلك عند المتعلمين الناطقين بغير العربية، أو في السياقات التي تهيمن فيها العامية أو اللغات الأجنبية على الممارسة اليومية. فهؤلاء يفتقرون إلى الحس اللغوي الذي يُسهم في تسهيل تعلّم القواعد، ويحتاجون إلى طرائق تعتمد على التدرج والربط بين الشفهي والكتابي، وبين القاعدة والمثال، وبين التحليل والتوظيف.

وإذا أضفنا إلى ذلك ضعف التنسيق بين مكونات اللغة داخل الكتاب المدرسي، وتوزيع المفاهيم النحوية بطريقة غير متدرجة أو منطقية، فإن صورة النحو في ذهن المتعلم تصبح أكثر تشوشًا. فالدروس تُبنى أحيانًا على قاعدة "ما تبقى من الوقت"، أو تُدرج بين وحدات القراءة والكتابة بشكل اعتباطي، دون ترابط في المضامين أو انسجام في الأهداف.

ويؤثر أيضًا في تعلم النحو غياب الدعم البصري والوسائل التعليمية، إذ غالبًا ما يُكتفى بالسبورة والطبشور، دون توظيف الأشرطة، أو المقاطع التوضيحية، أو البطاقات، أو التطبيقات الرقمية، التي يمكن أن تجعل من النحو درسًا حيًا نابضًا بالحركة والتفاعل. وقد أثبتت تجارب حديثة أن توظيف الوسائط التعليمية، حتى في أبسط صورها، يُحدث فرقًا واضحًا في فهم الظواهر النحوية وتثبيتها لدى المتعلمين (Vygotsky, 1978, p. 91).

وإلى جانب كل ما سبق، هناك صعوبات ترتبط بطبيعة النحو نفسه؛ إذ أنه علم تحليلي يتطلب مستوى معينًا من التفكير المجرد، ويعتمد على التمييز والتصنيف، مما يجعله مادة متقدمة نسبيًا بالنسبة لبعض الفئات العمرية، خاصة في غياب التدريج المناسب أو وسائل التبسيط الضرورية.

تأسيسًا على ما سبق، فإن معالجة صعوبات تعليم وتعلّم النحو العربي ينبغي أن تبدأ من فهم هذه العراقيل، والاعتراف بها كمكوّن بنيوي في واقع التدريس، وليس مجرد عَرَض عابر. كما ينبغي أن تنصب الجهود على تجديد المحتويات، وتطوير الطرائق، وإعادة التفكير في مكانة النحو داخل المنهاج، دون أن يُنتزع من سياقه التعليمي الشامل.

3.الطرائق التقليدية في تدريس النحو العربي – الأسس، النماذج، والإشكالات

تُعتبر الطرائق التقليدية في تدريس النحو العربي من أقدم الأساليب التي اعتمدها المعلمون عبر العصور، وهي ترتكز أساسًا على تقديم القواعد النحوية بشكل مباشر ومنهجي، يعكس نموذجًا تعليميًا قائمًا على التلقين والحفظ الصارم. فهذه الطرائق تنطلق من فرضية أن النحو علم جامد له قواعد محددة وثابتة يجب إتقانها بشكل متسلسل، من خلال حفظ التعاريف والقواعد والتمارين، دون الانخراط في تحليل النصوص أو ربط القاعدة بوظيفتها التواصلية (حمودة، 2020، ص. 112).

تمثلت هذه الأساليب في المدرسة التقليدية في اعتماد الطريقة الاستنباطية التي تبدأ بتقديم القاعدة النحوية بشكل مباشر للمتعلم، ثم تليها أمثلة تطبيقية، وأخيرًا تمارين إعرابية متكررة تهدف إلى تثبيت القاعدة. ويلاحظ أن هذه الطريقة تسود في كثير من المدارس العربية حتى اليوم، بالرغم من الانتقادات الواسعة التي وجهت إليها في الأوساط التربوية (عبد الرحيم، 2022، ص. 101).

تعتمد الطرائق التقليدية على تقسيم المادة إلى وحدات صغيرة من القواعد، يُدرّس كل منها بمعزل عن الأخرى، وهذا ما يؤدي إلى تجزئة المعرفة النحوية وعدم ربطها بالمعرفة اللغوية العامة. كما تتميز هذه الطرائق بالتركيز على الشكل الخارجي للكلمة وتحديد موقعها الإعرابي فقط، دون التعمق في الوظيفة التواصلية أو الدلالية للجملة أو النص.

يُضاف إلى ذلك استخدام الأساليب الشفهية والكتابية التكرارية كتمارين الإعراب، التي تأخذ حيزًا واسعًا من الحصص الدراسية، حيث يُطلب من المتعلم تحليل الجمل من حيث الرفع والنصب والجر، وهو ما يجهد الذاكرة دون أن يضمن فهمًا عميقًا للقواعد أو استخدامها بشكل فعّال في التعبير (حمودة، 2020، ص. 115).

وقد أدى هذا النمط التعليمي إلى نشوء صورة نمطية عن النحو بوصفه "مادة صعبة" أو "جافة"، يشعر بها المتعلم بأنها مادة منفصلة عن اللغة الحية والواقع التعبيري. ويعزى ذلك إلى غياب الربط بين القاعدة النحوية وسياق النص أو التواصل الحقيقي، مما أثر على دافعية الطلبة وعلى قدرتهم في استخدام النحو عمليًا (عبد الرحيم، 2022، ص. 105).

تتسم الطرائق التقليدية أيضًا بالاعتماد المكثف على الشرح النظري للحروف والأسماء والأفعال، والتفصيل في قواعد الإعراب المعقدة، ما يزيد من تعقيد المادة ويُثقل على كاهل المتعلم. ويُلاحظ في هذا السياق أن المدرّسين يواجهون صعوبة في جعل المادة مقبولة ومفهومة، خاصة مع المتعلمين الذين لا يملكون خلفية لغوية قوية (Vygotsky, 1978, p. 90).

في كثير من الأحيان، تُستخدم الكتب المدرسية التي تتبع هذا النهج مواداً مكتوبة بأسلوب جاف، وتعتمد على نصوص مصطنعة، بعيدة عن الواقع اللغوي اليومي للمتعلمين، وهو ما يفتقد الجذب والارتباط بالحياة العملية للطالب (Al-Jarf, 2019, p. 123).

كما أن غياب الأنشطة التفاعلية والتعلم التعاوني في هذه الطرائق يجعل العملية التعليمية أحادية الاتجاه، حيث يقوم المدرس بدور الناقل للمعلومات، والمتعلم بدور المتلقي السلبي، مما يحد من فرص التفكير النقدي والتحليل اللغوي العميق (حمودة، 2020، ص. 118).

تُبرز الطرائق التقليدية مشكلة أخرى تتمثل في ضعف الدمج بين مهارات اللغة، إذ يُدرّس النحو بمعزل عن مهارات القراءة والكتابة، وبالتالي تفقد الدروس النحوية بعدها التطبيقي، ولا يتمكن المتعلم من توظيف القواعد في إنتاج نصوص ذات معنى.

وقد أكدت الدراسات الحديثة أن الإصرار على هذه الطرائق التقليدية لا يحقق أهداف التعليم اللغوي الحديثة التي تركز على تنمية الكفايات التواصلية والوظيفية، بل يكرّس منطق الحفظ والتلقين الذي بات مناقضًا لمتطلبات العصر (Vygotsky, 1978, p. 93).

كما أن الاعتماد على تمارين الإعراب التقليدية، رغم أهميتها في بعض الجوانب، إلا أنها إذا ما انفرطت عن سياقها التعليمي الواقعي، تحوّل إلى عبء ثقيل على المتعلم، ولا تسهم في تطوير مهاراته اللغوية بصورة متكاملة (Al-Jarf, 2019, p. 125).

هناك أيضًا نقد موجه إلى الطرق التقليدية من حيث عدم مراعاتها للفروقات الفردية بين المتعلمين، إذ لا تتكيف مع مستوياتهم اللغوية أو أساليب تعلمهم المختلفة، ما يؤدي إلى فشل عدد كبير منهم في فهم المادة، وارتفاع معدلات الرسوب أو النفور.

كما تفتقر الطرائق التقليدية إلى استخدام الوسائل التعليمية الحديثة والتقنيات الرقمية التي يمكن أن تسهل استيعاب المفاهيم النحوية المعقدة، وتعزز من التفاعل والمشاركة الصفية، وهو ما يؤثر سلبًا على جودة التعليم (عبد الرحيم، 2022، ص. 115).

كما تشير بعض الدراسات إلى أن التركيز المفرط على الجانب النظري في الطرائق التقليدية يغيب عنها التركيز على تطوير مهارات التفكير العليا مثل التحليل والتركيب والتقويم، وهي مهارات ضرورية لفهم اللغة واستعمالها بفعالية (Vygotsky, 1978, p. 95).

تظهر أيضًا في الطرائق التقليدية ضعف في ربط المادة النحوية بمصادر أخرى مثل البلاغة والأدب، رغم أن الربط بين هذه المجالات يمكن أن يعزز من فهم القواعد ويثريها بالسياق والتطبيقات (حمودة، 2020، ص. 123).

من ناحية أخرى، تؤدي الطرائق التقليدية إلى تكرار معلومات لا تستند دائمًا إلى تحديثات لغوية أو بيداغوجية، مما يجعل التعليم جامدًا وغير مرن أمام المتغيرات الاجتماعية والثقافية الحديثة (عبد الرحيم، 2022، ص. 118).

على الرغم من هذه الانتقادات، فإن الطرائق التقليدية تحمل بعض الإيجابيات، مثل توفير قاعدة صلبة من المفاهيم النحوية التي يمكن البناء عليها، كما أنها واضحة ومنظمة، ما يجعلها مناسبة كبداية، لكنها تحتاج إلى تحديث ودمج مع طرائق أخرى حديثة لتحقيق فعالية أكبر (Al-Jarf, 2019, p. 127).

ختامًا، يتضح أن الطرائق التقليدية، رغم ثقلها التاريخي والتربوي، تواجه تحديات كبيرة في مواكبة متطلبات تعليم النحو المعاصر، ويجب استكمالها أو تجاوزها بطرائق أكثر انفتاحًا ومرونة، تأخذ بعين الاعتبار التطورات في العلوم التربوية واللسانية.

4.الطرائق الحديثة في تدريس النحو العربي – المفاهيم، الأنواع، والتطبيقات العملية

شهد تعليم النحو العربي تطورًا ملحوظًا مع دخول الطرائق الحديثة التي جاءت لتكسر الجمود التقليدي، وتعزز مشاركة المتعلم في بناء المعرفة النحوية ضمن سياقات تواصلية تفاعلية. تهدف هذه الطرائق إلى دمج الفهم النظري للنحو مع التطبيق العملي عبر أنشطة متنوعة تحفز التفكير وتراعي الفروق الفردية.

أ. الطرائق التفاعلية (Interactive Methods): تقوم هذه الطرائق على إشراك المتعلم بشكل فاعل في الدرس، إذ ينتقل من دور المتلقي إلى المشارك النشط في بناء المعرفة. يشجع المدرس المتعلمين على البحث والاكتشاف من خلال طرح أسئلة تحفيزية وتنظيم مناقشات صفية.

–مثال تطبيقي: في درس حول "المفعول به"، يُطلب من الطلاب قراءة فقرة قصيرة تحتوي على عدة أفعال وأسماء. يُوجه المدرس الطلاب لتحديد الفاعل والمفعول به في الجمل، ثم مناقشة الوظيفة النحوية لكل منهما. تُقسم الصف إلى مجموعات صغيرة، وكل مجموعة تُحلل جملة مختلفة، ثم تقدم نتائجها أمام الصف مع مبرراتها النحوية، مما يعزز الفهم التعاوني والتواصل.

ب. المقاربة النصية (Text-based Approach): تعتمد هذه المقاربة على دراسة النحو من خلال نصوص حقيقية متكاملة، كالقصص أو المقالات، مما يربط القواعد بوظائفها داخل النصوص ويُساعد على استيعابها في سياقها الطبيعي.

–مثال تطبيقي: يُوزع على الطلاب نصًا أدبيًا أو صحفيًا، يُطلب منهم قراءة النص بتأنٍ ثم تحليل استخدام أدوات النفي أو أدوات الربط المختلفة ضمنه. بعدها يُناقش المدرس كيف يؤثر اختيار هذه الأدوات في بناء المعنى العام للنص والتماسك بين الجمل، مما يساعد في فهم النحو من منظور وظيفي.

ت. التعلم التعاوني (Cooperative Learning): يعتمد على العمل الجماعي حيث يتعاون المتعلمون في مجموعات صغيرة لتحليل ظاهرة نحوية أو حل مسائل، مما يعزز مهارات التواصل وحل المشكلات.

–مثال تطبيقي: تُقسم الطلاب إلى مجموعات، ويُعطى كل فريق مجموعة جمل مركبة تحوي أخطاء نحوية متعمدة. تتولى المجموعة اكتشاف الأخطاء وتصحيحها، ثم تقدم تقريرًا مكتوبًا أو عرضًا شفويًا حول الأخطاء المصححة والقاعدة النحوية التي تنطبق عليها، مع شرح مبسط.

ث. التعلم الاستقرائي (Inductive Learning): يبدأ من خلال عرض أمثلة محددة ومتنوعة، ليتمكن المتعلم من صياغة القاعدة أو فهم الظاهرة بنفسه، مما ينمي مهارات التفكير النقدي والاستنتاج.

–مثال تطبيقي: يُقدم للطلاب مجموعة جمل تحوي أفعالًا متعدية ولازمة، يُطلب منهم ملاحظة الفروقات في التركيب النحوي بين الجمل، ثم صياغة قاعدة توضح الفرق بين الفعل اللازم والمتعدي استنادًا إلى الملاحظات.

ج. استخدام التكنولوجيا التعليمية (Technology–enhanced Learning): توفر الوسائل التكنولوجية الحديثة مثل البرامج التعليمية، والتطبيقات التفاعلية، والفيديوهات التعليمية فرصًا متعددة لتبسيط تعلم النحو وجعله أكثر جذبًا.

–مثال تطبيقي: يُستخدم تطبيق على الهواتف الذكية يتيح للطلاب تمارين إعرابية مصححة تلقائيًا، حيث يجيب الطالب على أسئلة تفاعلية حول إعراب جمل متنوعة، ويحصل على تغذية راجعة فورية حول الإجابة الصحيحة والخاطئة، مما يعزز التعلم الذاتي.

ح. المقاربة بالكفايات (Competency–based Approach): تُركز هذه المقاربة على تمكين المتعلم من توظيف القواعد النحوية في مواقف تواصلية فعلية، مع رصد وتحليل أدائه بشكل مستمر.

–مثال تطبيقي: يُطلب من الطلاب كتابة موضوع تعبير أو سرد قصة قصيرة، مع ضرورة استخدام قواعد معينة مثل الجملة الفعلية والجملة الاسمية، أو أدوات العطف، وبعد ذلك يُجرى تقييم للأعمال مع ملاحظات مفصلة لتحسين الأداء اللغوي.

خ.الأنشطة العملية والتطبيقية: تُستخدم أنشطة متنوعة لتحويل القواعد النحوية إلى مهارات فعلية، تشمل ألعابًا تعليمية، وتمارين إبداعية، وأنشطة تمثيلية.

– مثال تطبيقي: يُجري الطلاب نشاط "لعب الأدوار" حيث يقومون بتأليف حوار يستخدم جملًا في حالة الرفع والنصب والجر، ويقدمونه أمام الفصل، بحيث يلاحظ المدرس دقة تطبيق القواعد النحوية.

د. التقييم التكويني (Formative Assessment): يُستخدم هذا التقييم لتحديد مدى فهم الطلاب أثناء العملية التعليمية، وتقديم تغذية راجعة مستمرة تساعد في تعديل سير التعلم.

–مثال تطبيقي: بعد شرح قاعدة نحوية، يُعطي المدرس اختبارًا قصيرًا تفاعليًا داخل الحصة، مثل تمارين إملائية أو إعرابية، ويناقش النتائج مع الطلاب فورًا، ما يساعد في تدارك الصعوبات مبكرًا.

ذ. مراعاة الفروق الفردية: تُراعي الطرائق الحديثة اختلاف مستويات الطلاب من خلال تقديم مواد وأنشطة متنوعة تناسب قدرات وأساليب تعلم مختلفة.

–مثال تطبيقي: يُقدم المدرس نسخًا مختلفة من تمرين واحد، نسخة مبسطة للمستويات الضعيفة ونسخة أكثر تعقيدًا للمتفوقين، كما يُشجع الطلاب على العمل حسب وتيرتهم الخاصة.

ر. دمج مهارات اللغة: تُدمج مهارات النحو مع مهارات القراءة، والكتابة، والاستماع، والتحدث في أنشطة متكاملة.

–مثال تطبيقي: يُطلب من الطلاب قراءة نص، ثم إعادة صياغته شفهياً مع التركيز على استخدام قواعد نحوية محددة، ثم كتابة ملخص، ما يربط المهارات اللغوية المختلفة.

ز. استخدام وسائل تعليمية متنوعة: تُستخدم خرائط ذهنية، ورسوم توضيحية، وفيديوهات، ووسائط متعددة لتبسيط شرح القواعد.

–مثال تطبيقي: يعرض المدرس خريطة ذهنية توضح حالات الإعراب المختلفة، ثم يطلب من الطلاب إضافة أمثلة من نصوص مختلفة على الخريطة، لتعزيز الفهم البصري والسمعي.

س. المنهج التفاعلي: يعتمد على الحوار المفتوح والسؤال والجواب لتعزيز مشاركة المتعلمين.

–مثال تطبيقي: يُطرح سؤال تحفيزي مثل: كيف يؤثر تغيير إعراب كلمة في معنى الجملة؟، ويُناقش الطلاب الإجابات ويتبادلون الآراء، ما ينمي مهارات التفكير الناقد.

ش. تعزيز الوعي النحوي: تُساعد الطرائق الحديثة على بناء وعي عميق بالتركيب اللغوي من خلال التطبيقات العملية.

–مثال تطبيقي: يُكلف الطلاب بتحليل نصوص أدبية شهيرة لتحديد الظواهر النحوية وتأثيرها في الإيقاع والمعنى، مما يثري تجربتهم اللغوية.

ص. تخفيف الضغوط النفسية: يساعد التعلم التفاعلي على تقليل رهبة تعلم النحو، ويجعل العملية التعليمية أكثر مرحًا.

–مثال تطبيقي: استخدام ألعاب تعليمية مثل "لعبة السباق" حيث يكافأ الفريق الذي يصحح أكبر عدد من الأخطاء النحوية في وقت محدد، ما يحفز المشاركة ويخفف القلق.

ض. التعلم المستمر خارج الفصل: تشجع هذه الطرائق على استخدام الموارد الرقمية والتعلم الذاتي.

–مثال تطبيقي: يُوجه المدرس الطلاب لاستخدام منصات إلكترونية تقدم دروسًا وتمارين تفاعلية، مع متابعة تقدمهم عبر تقارير إلكترونية.

ط. دور المدرس كميسر: يُصبح المدرس موجهًا ومحفزًا أكثر منه ناقلًا للمعلومات.

–مثال تطبيقي: يُشجع المدرس الطلاب على طرح الأسئلة، ويُوفر فرصًا لاكتشاف الإجابات بأنفسهم عبر أنشطة بحثية داخل الفصل.

ظ.الدمج مع علوم اللغة الأخرى: تُربط دروس النحو بمواد البلاغة والأدب لزيادة الفهم.

–مثال تطبيقي: تحليل أساليب بلاغية في نصوص شعرية مع التركيز على التركيب النحوي والتعبير، مما يعمق فهم القواعد.

ع. التأقلم مع المتغيرات الثقافية والاجتماعية: تراعي الطرائق الحديثة اختلاف الخلفيات الثقافية للمتعلمين.

–مثال تطبيقي: استخدام نصوص تمثل اللهجات المحلية أو موضوعات حياتية معاصرة في أنشطة النحو، لتقريب المادة من حياة الطلاب.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يتضح أن تدريس النحو العربي لا يقتصر على نقل قواعد جامدة، بل هو عملية تربوية معقدة تتطلب توظيف آليات وطرائق حديثة تواكب تطورات العصر ومتطلبات المتعلمين. إن اعتماد الطرائق التفاعلية، والمقاربة النصية، والتعلم التعاوني، والاستقرائي، مع توظيف التكنولوجيا والمقاربة بالكفايات، يشكل قاعدة صلبة لتعليم نحوي فعّال يدمج بين الفهم النظري والتطبيق العملي.

لقد بينت الدراسات والتجارب العملية أن هذه الطرائق تسهم في رفع دافعية المتعلمين، وتحسين مستوى تحصيلهم، وتقليل الصعوبات النفسية المرتبطة بتعلم النحو، إضافة إلى تنمية مهارات التفكير النقدي والتواصل اللغوي لديهم. كما أن دور المدرس يتحول من ناقل للمعلومة إلى ميسّر ومرشد، ما يعزز من البيئة التعليمية التفاعلية.

وعليه، فإن المستقبل يتطلب مزيدًا من البحث والتجريب في تطوير أدوات تعليم النحو، مع التركيز على تكوين المعلمين وتأهيلهم لاستخدام هذه الطرائق بفعالية، فضلًا عن الاستفادة من الوسائط الرقمية والموارد التعليمية المتنوعة. كما ينبغي أن تراعي هذه الطرائق الفروق الفردية للمتعلمين وتتكيف مع خلفياتهم الثقافية والاجتماعية، لتكون العملية التعليمية شاملة ومستجيبة لحاجات الجميع.

إن تدريس النحو العربي بالطرائق الحديثة ليس خيارًا بل ضرورة، لتحقيق تعليم لغوي متكامل قادر على إكساب المتعلمين مهارات النحو التي تعينهم على التعبير السليم والتواصل الفعّال في مختلف المواقف اللغوية.

المصادر والمراجع

- حمودة، أحمد. (2020). مقاربات حديثة في تعليم النحو العربي. دار الفكر التربوي.
- صالح، محمد. (2017). تحديات تعليم النحو العربي في المدارس. مجلة العلوم التربوية، 12(3)، 45–67.
- عبد الرحيم، ناصر. (2022). بيداغوجيا النحو العربي: من التعليم إلى التعلم. دار القلم.
- Al-Jarf, R. (2019). Teaching Arabic grammar with technology. Journal of Language Teaching, 45(2), 112–127.
- Vygotsky, L. S. (1978). Mind in society: The development of higher psychological processes. Harvard University Press.